صباح الخير،.. أيتها العمارة!

د. خالد السلطاني
معمار وأكاديمي×

٢-١

عندما يبدي المرء إعجابه بعمارة مبنى معين، بسبب حسن تكوينه، أو بباعث جمالية معالجات واجهاته، أو فرادة حله التصميمي، أو عندما يدهش لناحية وجود جميع تلك المواصفات معاً في مبنىً واحد؛ فان ذلك يعد امراً طبيعياً وحتى مألوفاً. لكن الأمر يضحى غير طبيعي وغير مألوف، عندما تغدو مدينة بـ"جميع" مبانيها، باعثاً لمدار ذلك الإعجاب أو الدهشة. صحيح انه لأمر نادر، وربما استثنائي، لكن المشهد التخطيطي والمعماري لا يخلو من ذلك.

مدينة "برازيليا" (عاصمة البرازيل) إحدى تلك المدن التي تنطبق عليها مثل تلك المعايير، هي التي بها يتمثل معنى المدينة "الفاضلة" تخطيطيا ومعماريا. فالمدينة/ العاصمة التي بدء تشييدها في منتصف الخمسينات (١٩٥٧)، وافتتحت رسميا يوم ٢١ نيسان (ابريل) ١٩٦٠، جسدت كل ما هو حداثي وطليعي، إن كان ذلك في المجال التخطيطي أو في الشأن المعماري. ولحسن الحظ، حظ العمارة والمدينة معاً، أن يوكل أمر تخطيطها وتصميم مبانيها المهمة إلى أهم شخصيتين في ذينك المضمارين: التخطيط والعمارة، إلى المخطط "لوسيو كوستا" (١٩٠٢-١٩٩٨) Lucio Coasta، والى المعمار"اوسكار نيماير" Oscar Niemeyer (١٩٠٧-) والأخير، نعم!، لايزال حيا يرزق! .

وبرازيليا مدينة جديدة بكل معنى الكلمة، فهي وإن أنشئت من "فراغ"، فإنها تظل تتميز عن قريناتها من المدن الجديدة، كونها مدينة حداثية. وحداثيتها تستقيها من نهج مخططها الحداثي، ومن المقاربات الطليعية لمعمارها الأبرز. إنها في هذه الحالة تتصادى بأهميتها مع أهمية مدن قليلة خططت وصممت من قبل مصممين مشهورين، تحتفظ الذاكرة المعمارية بها أمثال جندكار عاصمة البنجاب بالهند، وإسلام آباد عاصمة باكستان الجديدة وكامبيرا في استراليا وغير ذلك من المدن الجديدة. قد تكون أهمية جندكار قريبة جدا من أهمية برازيليا. فالأولى خطط وصمم مبانيها الرئيسية رائد الحداثة المعمارية: لو كوربوزيه (١٨٨٧-١٩٦٥)، لتكون العاصمة الجديدة لإقليم البنجاب، بعد أن تم تقسيم الأخير إثر انفصال باكستان عن الهند في ١٩٤٧، واحتفاظ البنجاب الباكستاني بالعاصمة التاريخية لاهور. وكلتا المدينتين "شغلتا" ببزوغهما الخطاب المعماري طويلا، لجهة "تخليق" فرصة، في رؤية فعل تحول الطروحات النظرية المعمارية والتخطيطية الطليعية إلى واقع معاش.

ومع إني انوي الحديث، هنا، عن مباني برازيليا، وصورها الملتقطة من قبل المصور الفوتوغرافي العالمي/ السويسري المولد "رينيه بوري" (١٩٣٣)Burri René؛ المنشورة في كتابه <برازيليا> الصادر حديثا، بيرن، ٢٠١١، (وبالمناسبة فان "بوري" هو ذاته صاحب الصور <الأيقونية> للثائر جي غيفارا بسيكاره الشهير)؛ إلا أني سأتوقف ملياً عند جندكار، فقط لأنها تشترك مع برازيليا في حدث اقتران القيمة التخطيطية- المعمارية العالية مع كلتا العاصمتين. ففي عمارة مباني جندكار، يدنو لو كوربوزيه من تخوم أعلى قمة من قمم مقاربته التصميمية المميزة والأسرة، تلك المقاربة التي أسست (مع آخرين) عمارة الحداثة. صحيح انه سيدهش، لاحقا، العالم المعماري برائعته "مصلى رونشان"، لكنه، الآن، في جندكار، منهمك في استيلاد فورمات، غير عادية لمبانيها المهمة مثل مباني البرلمان، والسكرتارية، والمحكمة العليا وغيرها من المباني التي أعطت جندكار فرادتها المعمارية والتخطيطية. معلوم أن لوكوربوزيه هو رائد التخطيط الحداثي بلا منازع، مبادئه التي شكلت، في ما بعد، قوام ما يعرف بـ "وثيقة أثينا" للتخطيط (١٩٣٣)، والمتمثلة في وظائف المدن الأساسية: السكن، العمل، الراحة، والمتجسدة في مواضيعها: القطاع (الإقليم)، الاتصالات، والتشريع. وهي ذات المبادئ الأساسية التي سعى إلى تطبيقها في إعادة تخطيط مدينة الجزائر (١٩٣٨-٤٢)، والتي على إثرها تم ايقافه عن العمل من قبل المسؤولين الفرنسيين، بذريعة التعبير المبالغ في جمالية و"إنسانية" الطرح التخطيطي!. لكن ذلك موضوع آخر!.

ثمة، إذا، عمارة: مميزة، ومعبرة، وبالطبع حداثية، حافل بها مشهد العاصمة البرازيلية الجديدة. وهذه العمارة تجسدها مبان عديدة، سواء كانت عامة أم خاصة. لكننا ليس بوسعنا التوقف، هنا، عند الكثير منها. سنصطفي نماذج مقننة، بحكم طبيعة المقال، الذي ننشد به إبداء إيماءة إعجاب بمجمل عمارة برازيليا؛ أي تلك العمارة المصممة من قبل مبدع البرازيل الفذ، هو الذي تحدثنا عن عمارته، يوما ما، في دراسة مطولة، عنوانها "مفرد بصيغة الجمع" مستعيرين كلمات العنوان من كتابات الشاعر ادونيس، ومسقطين دلالاتها الرمزية على المعمار ومنجزه. (انظر: خالد السلطاني؛ عمارة ومعماريون، بغداد ٢٠٠٩) وها نحن، الآن، مرة أخرى، نرسل لعمارته التحية والتكريم، عبر مقالنا هذا.

في اعتقادي (وأظن في اعتقاد كثر من النقاد المعماريين)، ثمة شعور مليء بالحبور العابق بالبهجة، يتولد عند رؤية عمارة اوسكار نيماير بعامة، وعمارة مبانيه الرئيسية في برازيليا بخاصة. وهذا الشعور ينبع من جماليات الفورم المبتدع، ومن أسلوب معالجاته الاستثنائية. ثمة، إذا، احتفالية ممزوجة بالدهشة، ما انفك يحس بها كثر من مشاهدي مباني برازيليا، من مثل: مبنى الكونغرس الوطني (البرلمان)، او مبنى القصر الجمهوري، (المسمى بتحبب <الفارادو > وتعني "الفجر")، او قصر الحكومة، او مبنى الكاثدرائية او غيرها من المباني المميزة ،العاج بها فضاء المدينة المرحة. ورغم مرور نصف قرن على ظهور تلك المباني في المشهد المديني، فان لغتها التصميمية لا تزال تحتفظ بطزاجتها وفي تعبيريتها التي تذهل متلقيها.

مدرسة العمارة/ الأكاديمية الملكية الدانمركية للفنون

المعمار أوسكار نيماير على خلفية مبنى الكونغرس الوطني، برازيليا

عامل وعائلته، عند شرفة مبنى الحكومة، أثناء تدشين العاصمة البرازيلية الجديدة

منطقة محررة

■ نجم والي

المحاويل

٢-١

معرفتي بالمحاويل قديمة، عمرها يقترب من ٣١ عاماً؛ وما تبقى عندي منها، فقط دفتر خدمة عسكرية بال، حفظته كل هذه السنوات، أعثر عليه كلما غيرت سكناي، وذكريات مرعبة تمرنت مرات عديدة على نسيانها؛ وأنه الدفتر العسكري هذا، الذي يحملني كلما عثرت عليه، على تذكر حياة الجندي "الباسل" المكلف المرقم ٧٨٣٢١١، نائب العريف صنف رادار المدفعية كتيبة الاستمكان الأولى الذي كنته، ومعسكر المحاويل، والضباط البعثيين: ملازم الأول قاسم الحلو والمساعد أو ضابط أمن الكتيبة النقيب شاكر عبود علي، ومنافسه النقيب حيدر كريدي والكلاب؛ كم حسدت الرسام السوريالي مغريت، فهو وحده الذي يستطيع أن يرسم هؤلاء في مشهد واحد. أما شخص مثلي، اكتشف غواية الحكاية مبكراً، فبإمكانه فقط رواية بعض الأحداث.

كان يجب أن يكون شهر مارس، عندما وصلت معسكر المحاويل، قادماً من البصرة، من القاعدة البحرية، لأنني لبست حينها ملابس القوات البحرية البيضاء الصيفية. في ذلك النهار جئت إلى ناحية المحاويل، كان عليّ الالتحاق بـ"كتيبة الاستمكان" التي نقلوني إليها، بعد إنهاء خدمتي في القاعدة البحرية في المعقل - البصرة، مترجماً لجنرالين من ألمانيا الشرقية، حليفة البعثيين بتحديث وسائل القمع والتعذيب، وعندما وقفت في طابور التعداد، ظننت أنني أرتكب جنحة غريبة، لأنني سمعت لغطاً سرى فجأة بين الجنود، ثم رأيت ضابط الكتيبة يتجه نحوي مباشرة. في الحقيقة وصلتني عصاه أولاً، غرزها بسادية في أضلعي: "ها، أنت؟"، وقبل أن أرد بأي شيء، وصلني رذاذ لعابه. تطاير الشرر في عيني الضابط، لسبب لم أفهمه حتى تلك اللحظة، حتى سمعته يصرخ بي من جديد، "ابق مكانك، قشمر (شتيمة يعشق الضباط العراقيون قولها)، لماذا أنت بملابس النسوان هذه؟". إذن بذلة البحرية هي ملابس نسائية، بالنسبة له، وكان عليّ أن أزحف طوال ذلك اليوم في ساحة العرضات، وهو يطلب من ضباط الكتيبة والجنود أن ينظروا إلى ذلك "الجندي المايع". للمرة الأولى عرفت في حياتي ساحة العرضات، مكاناً للفرجة. على هذا الأساس رأى العسكر في البلاد كلها ساحة عرضات يفرغون فيها أمراضهم. على هذا الأساس أيضاً لم يكف العراق ومنذ تأسيسه وحتى اليوم من مزاولة حرب دائمة ضد ناسه. لم يعرف العراقيون هدنة حربية في تأريخهم. لكن ما حدث مع قاسم الحلو يظل بسيطاً مقارنة بما فعله بعد أيام ضابط أمن الكتيبة، شاكر عبود علي.

على مدى سنة كاملة وكل أربعاء، واظب النقيب صاحب الكرش الكبير، على دعوتنا، سبعة جنود، إلى مكتبه، ليبدأ بالتحقيق مع كل واحد منا؛ وفي ما يتعلق الأمر بي، عرفت أنه كل مرة يحاول المساومة بين القبول بطرق تعذيبه، وبين طرق التعذيب التي تُمارس في مديرية الاستخبارات في وزارة الدفاع، "لماذا العناد، والرفض بالانتماء للحزب، وطريقتي إنسانية جداً"، لست بمعرض وصف طريقته "الإنسانية" بالتعذيب، ولكن الطقس ذلك، كان يجري كل أربعاء، حتى أطلقنا عليه "حبيب الأربعاء"، تيمناً بأغنية مشهورة لفائزة أحمد.

رواية "قتل طائر ساخر" الأكثر قراءة في بريطانيا

المدى الثقافي

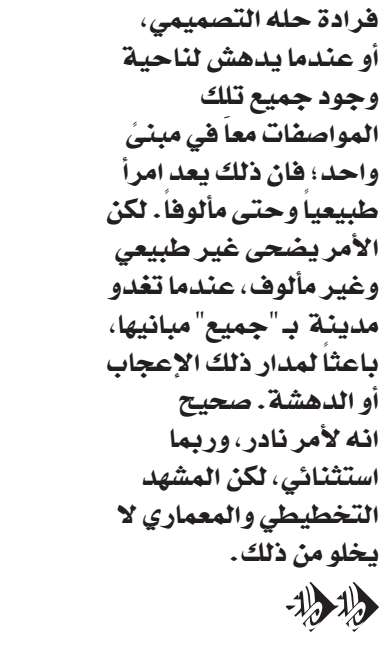

في استفتاء بإنكلترا عن أفضل كتب للقراءة شارك فيه ٦٠٠٠ شخص، جاءت رواية هاربرلي، "قتل طائر ساخر" في المرتبة الأولى مزيحاً رواية، "كبرياء وتحامل"، لجين أوستن إلى الرتبة الثانية.

وكان موقع "وورلد بوك نايت"، قد نظم هذا الإستفتاء لاختيار أفضل الكتب التي تُقرأ وتُستعار، مع تقديم قائمة بـ٨٠٠٠ عنوان للاختيار منها. وقد حصلت رواية هاربرلي على (٦٧٦) صوتا و"كبرياء وتحامل"، على (٥٢١)،ورواية الأطفال، "سارق الكتاب"، لماركوس سوساك على (٤٨٩)،و"جين اير"- (٤١٥) و"زوجة المسافر"-٤٠٥ أصوات.

ويبدو أن أفضل الكتب العشرة هي مزيج من الروايات القديمة والحديثة،مع احتلال، "ملك الخواتم"، المركز السادس و"دليل هيجهايكر إلى المجرة السابعة"،و"مرتفعات ويذرينك"،المرتبة الثامنة و"ربيكا"، لدافني دو موريير-التاسعة، و"الطائر ة الورقية"،لخالد حسيني- في الدرجة العاشرة.

ويقول مسؤول "وورلد بوك نايت"،إنهم كانوا يتوقعون آراء متباينة حول الكتب،ولكن ليس بهذه الوفرة.

وستتشكل لجنة من أصحاب المكتبات والصحفيين والكتاب،لاختيار ٢٥ عنوانا فائزا لإطلاقها مجاناً عبر الموقع في العام المقبل.

١٤ فيلماً روائياً ووثائقياً في مهرجان الدوحة ترايبكا السينمائي

من فيلم "طبيعي"

من فيلم "رجل شريف"

المدى الثقافي

أعلنت اليوم "مؤسسة الدوحة للأفلام" قائمة الأفلام الروائية والوثائقية الطويلة المشاركة ضمن مسابقة الأفلام العربية في مهرجان الدوحة ترايبكا السينمائي، وذلك رغبة منها بعرض أفلام ذات نوعية عالية أنتجت في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خلال العام الماضي. هذا ويرأس لجنة التحكيم الخاصة بالأفلام الروائية والمؤلفة من خمسة أعضاء، المخرج السوري محمد ملص المعروف على مستوى العالم العربي بأفلامه المميزة ذات التوجه الاجتماعي.

تضم المسابقة التي تقام ضمن المهرجان للسنة الثانية، عروضاً عالمية أولى لثمانية أفلام، وتوسعت حالياً لتشمل فئتين، واحدة للأفلام الروائية وأخرى للوثائقية ولكل منهما لجنة تحكيم خاصة.

تقدم مسابقة الأفلام العربية لعام ٢٠١١ مجموعة متنوعة من الأفلام، وتتضمن سبعة أفلام روائية وأخرى وثائقية، تتمحور مواضيعها على الطفولة والحب وإضطرابات الثورات والحياة الخاصة في المنطقة العربية، بالإضافة إلى الأفلام التي تكشف عن الطبيعة الحقيقية لحياة المرأة العربية المعاصرة. وسيتم ترجمة جميع الأفلام المعروضة خلال المهرجان الى اللغتين الإنكليزية والعربية لتلائم جميع فئات الجمهور.

وفي تعليق لهانيا مروّه، رئيسة قسم البرمجة العربية في مؤسسة الدوحة للأفلام قالت: "تصور الأفلام المشاركة في مسابقة الأفلام العربية الحياة والحب والواقع المعاصر الذي يختبره أي شخص يعيش في المنطقة. كما تعكس هذه الأفلام أحلام وأفكار وتطلعات العرب سواء الذين يعيشون في المنطقة العربية أو في مناطق أخرى حول العالم. ومن هذه الافلام (إنسان شريف) للمخرج جان كلود قدسي، (قلب أحمر) للمخرج هلكوت مصطفى، (قديش تحبني) للمخرجة فاطمة زهرة زموم، (الشوق) للمخرج خالد الحجر، (أغنية المهرّب) للمخرج رباح عامور زايميشي، (طبيعي) للمخرج مرزاق علواش، (عمر قتلني) رشدي زم.

نص

وحدها.. تلّم الخوخ

نعمان المحسن

أقبّل يد الوقت لأنه أعطاني
شجاعة النجوم/ وهي ترتعش
من بعيد لتهز ظلام الليل/
أقبّل يدها للتي مرت بطيئة من
السوق/ وهي هائمة كالصبر
مع الخوف الذي تشم رائحته/
وتنسى بانكسار التذكر الذي
يدور في بيتها ....
القدح المذهب/ قدح ارتشاف
الليالي/ مكسور في زاوية
حزنها/ تتأمله بحزن مخيف/
لولدها الذي يلعب باصفرار
وجنتيه الذابلتين ككلمات
خرساء/ ولكنها مع كيس
الخوخ/ ومع النساء المتلهفات
لأصحاب الدكاكين المراهقين/
تمشي في زقاقها بطيئة .
لا أريد أن أصل البيت/ رائحة
الخوخ بألوانه الأرجوانية
الوقحة/ ينظر من خلف الكيس
المائع الذي ثقبته أحزانها
الصامتة، هي صاحبة العباءة
النظيفة/ وصاحبة الصمت
المتوجع/
حين رأيتها وأنا في باب البلابل
الخرساء .
أيتها المرأة ياعذوبة العذاب/
يا خوخ الخراب والذي يخرج
من كيسه الأسود حمرة من
تجاعيد
أنت البطيئة لا تصلي بيت
الاكدار/ القدح المذهب شظايا
لأقدامك الترفة/ لا تصلي/
ابقي على هذا البطء/ ابقي
في زقاق الخوخ/ مع الغليان
الهادئ/ الزقاق سيطول
لك/ لأنه أرحم من البشر/
ولعباءتك النظيفة كالليل/
تهفهف بهواء الخريف اللذيذ/
والذي يهز صدرك العاقل
والمشتهي/ تحت سواد عباءة
كأنها شراع/
مزرعتان من كروم ذهبية/
تسيل انهار من خمر/
تملأ قدحك الذي كسرته
الحسرات/
أين أنت ياعاصر الأعناب ؟/
أين لياليك الجديدة في كل
دقيقة؟/ أين قطاف أصابع
الاشتعال؟/ أين ذلك الليل
الذي لا تنتهي نيرانه الدافئة؟/
أين أنت ؟
وكان الخوخ يذقب الكيس
المزيف/ ويجن من أسئلتها
المشتعلة/ ومن ذكريات
سود/
– مساء الخير
واستدارت كالفرس الذي
أيقظه الصوت المفاجئ
– عفوا .....
– إن خوخك يتساقط لأن
الكيس مثقوب
نظرت إلى خوخها الأرجواني
الوقح وهو يطرز ممر الزقاق .
– شكرا.....
ولملمت معها الخوخ المتساقط
والحزين والذي كان يسمع
أحزانها/ بكيس جديد بلونٍ
أحمر/ كنت أحتفظ به يوميا
لأني كنت أعرف بأن سيأتي
يوما ألم معها ونحن منحنيان
أشمّ أنفاسها الساخنة وأقول
لها:
سنلم خوخ المساء.....

مدير التحرير | رئيس القسم | مسؤول الصفحة | القسم الفني | قسم التصحيح